الاستقصاء في المثل النبوي

دراسة بلاغية

دكتور

أحمد إبراهيم محمد علي

أستاذ البلاغة والنقد المساعد بكلية البنات الأزهرية

بالعاشر من رمضان

ملخص البحث

اتفق البلاغيون على أن لاستقصاء المعاني أثرا واضحا في إبـــراز الأفكـــار، وتوضيحها من جهة أن المتكلم يسبر أغوارها ، ويستخرج كنهها ،حتى يـــأتي بجميع عوارضها ولوازمها، بعد استقصاء أوصافها الذاتية.

وهو باب من أبواب البراعة في التعبير عن المعاني، يحمـــد إذا جـــاء عفويـــا وفطريا، كما أنه لا ينقاد للمتكلم إلا إذا كان على وعي تام بصـــفات، وأحـــوال المعانى.

وهذا البحث قد وقف – بما لا يدع مجالا للشك من خلال تحليل نمـــاذج مـــن الأمثال النبوية – على تمكن البيان النبوي من توظيف الاستقصاء فـــي خدمـــة الأفكار وتوضيح المعاني، وسبر أغوارها، بما لا يَتْرك لمَن يتناولها بعده مقالاً إضافيّا فيها.

Summary

The eloquent agreed that the depth of the meanings has a clear effect in highlighting the ideas, and clarifying them on the one hand that the speaker is testing them to know their depth, And extract the essence, even comes all their needs and supplies, after deepening in their self-descriptions, which is a section of ingenuity in the expression of meanings, Praise be if he came spontaneously and instinctively, as he can not be removed speaker unless he is fully aware of the qualities, and conditions of meanings. This research has stopped. Without any doubt by analysing models of prophetic works. The Prophet's statement enables us to employ the utmost in depth in serving ideas and clarifying meanings, And to test its depth, so as not to leave for those who use after him an additional article in it.

مُقَدِّمَة:

أحمَد الله تعالى على نِعمه، وأصلي وأسلم على أفصح العرب لساناً، وأوضحهم بياناً، وأعذبهم نُطقاً، وأبينهم لهجة، وأقومهم حجة، وأعرفهم بمواقع الخطاب، وأهداهم إلى طرق الصواب.

اللهم جنبني الشبهة، واكتب لي السلامة في الرأي،واغفر لي ولوالدي ولمشايخي،ولكل من مد لي يد العون وأوزع صدري وصدورهم برد اليقين.

وبعد:

فقد بعث الله –تعالى– نبيه محمد ﷺ، وأمده بجوامع الكلم، بعد أن اختار له من اللغات أعربها، ومن الألسنة أفصحها وأبينها، فكان ﷺ في أقصى الغايات من الفصاحة، حتى كأن الله – تعالى محض اللسان العربي وألقى زبدته على لسانه ﷺ.

وقد انعقد الإجماع قديمًا وحديثًا على أن الرسول ﷺ هو أفصح العرب بلاغة وقولًا، انقادت له جوامع الكلم في حديثه النبوي الشريف طوعا، فخلا لفظه من التزيين والتكلف، ونأى عن الصنعة والتشدق، وهجرالغريب الوحشى، ورغب عن الهجين السوقي ؛ فلم ينطق إلا بكلام قد حُف بالعصمة.

وأما معانيه فقد جاءت في تناسبها، وتناسلها، وفخامتها وشمولها كالحلقة المفرغة لايدرى أين طرفاها.

وفي الصفحات التالية نحاول الوقوف في المثل النبوي على باب من أبواب البراعة في التعبير عن المعاني، وسبر أغوارها، يتناول فيه المتكلّم بيانَ معنىً، فيستقصيَهُ من كلّ جوانبه، آتياً بجميع عوارضه، ولوازمه بعد أن

يستقصي جميع أوصافه الذاتية، حتى لا يَتْرُكَ لمَن يتناولُهُ بعْدَهُ مقالاً إضافيا فيه، وهو ما أطلق عليه الاستقصاء.

وقد بأت البحث بمقدمة ثم أعقبتها بمبحثين وخاتمة:

المبحث الأول: تناولت فيه مفهوم الاستقصاء والفرق بينه وبين التكميل، والبسط، والتميم.

المبحث الثاني: يكشف عن البلاغة النبوية في استقصاء المعنى.

وذلك في ضوء منهج تحليلي وصفي، على النحو التالي

- بيان معاني المفردات.
- صياغة المعنى العام للمثل.
- الصورة التشبيهية في المثل.
- بيان أثر التصوير على المعنى.
- بيان ما في المثل من استقصاء.
- تحليل النص.
- بيان الهدف منه.

الخاتمة: وأسجل فيها خلاصة البحث، وأهم المصادر والمراجع التي اعتمد عيها.

هذا والله من وراء القصد

دكتور

أحمد إبراهيم محمد علي

المبحث الأول
الاستقصاء والفرق بينه وبين التكميل والبسط والتتميم

يقال: استقصيت الأمر وتقصيته و اسْتَقْصَيْتُه: بلغت أقصاه في البحث عنه، واستقصى فلان في المسألة وتقصى بمعنى، وتَقَصَّيْتُ الأمرَ واسْتَقْصَيْتُه أي أحْكَمْتُه وبالَغْت فيه، واسْتَقْصَى في المسْأَلَةِ،وتَقَصَّى: بَلَغَ قصواها، أَي: الغايَةَ(١).

وحديث متقصِّى، أي: سبر أغوار المعنى، واستخرج كنهه، وعرف مقداره، حتى أتى بجميع عوارضه ولوازمه، بعد أن استقصى أوصافه الذاتية، فلم يفرط في شيء منها، بحيث لا يجد فيه من يتناوله بعد مقالا.

وهو باب من أبواب البراعة في التعبير عن المعاني، وسبر أغوارها، يمتدح به من يحسن توظيفه من الشعراء، فنجد أحسنهم عند قدامة بن جعفر في كتابه: " نقد الشعر ": من أتى في شعره بأكثر المعاني التي ركب منها الموصوف، ثم بأظهرها فيه، وأولاها حتى يحكيه بشعره، ويمثله للحس بنعته، كما صنع الشماخ في وصف أرض تسير النبالة فيها بقوله:

خلتْ غيرَ آثارِ الأراجيلِ ترتمي تقعقعُ في الآباط منها وفاضها

(١) ينظر: الصحاح للجوهري = تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري، جـ:٧، ص: ٣١٣، دار العلم للملايين- بيروت. الطبعة: الرابعة- يناير ١٩٩٠. والمحيط في اللغة المحيط في اللغة ــ لأبي القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني. جـ: ٥، ص: ٤٦٦، نشر: عالم الكتب – بيروت، لبنان – ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، الطبعة: الأولى، ت: محمد حسن آل ياسين، و تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، مادة: قصو.

والأَراجِيلُ: رجالةٌ لُصوصٌ. ترْتمي: تَرْمي الصَّيدَ، يقال: خرجْت أَتَرَمَّى، وخرجَ يتَرَمَّى، إذا خرج يَرْمي في الأَغْراضِ وأُصُول الشجر. تقعقع: تَضطَرب وتتحرك. الآباط: باطن المنكب. وفاضها: واحدتها: الوَفْضةُ، وهي: جَعْبةُ السِّهامِ إِذا كانت من أَدَمٍ لا خشبَ فيها.

يصوّر فيه الشاعر: هرولة الرجالة، ووفاضها في آباطها تقعقع، إلا أنه استوعب في وصفه أكثر معاني الموصوف، حيث بين أفعال الرجالة بقوله: ترتمي، والحال في مقدار سيرها بوصفه: "تقعقع الوفاض"، إذ كان في ذلك دليل – على أنه الهرولة، أو نحوها من ضروب السير هو: حركة السهام واضطرابها في الجعبة إلى حد أنها تصدر ذلك الصوت، ولا يسمع إلا إذا هرول النبال بها، وهو أي: وصف الحركة من أصعب أبواب الوصف، لأن تصويرها بالكلمات حتى تكون فيها كما تراها العين تجول وتضطرب، عمل لا ينهض به إلا ذوو المواهب الفذة[1]، ثم إنه دل أيضاً على الموضع الذي حملت فيه هذه الرجالة الوفاض، وهو: الآباط، فاستوعب أكثر هيئات النبالة، وأتى في صفاتها بأولاها وأظهرها عليها، وحكاها، حتى كأن سامع قوله يراها، نصب عينيه.[2]

(١) راجع التصوير البياني، د محمد أبو موسى، ص: ١٤١، مكتبة وهبة. القاهرة.

(٢) راجع نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق وتعليق " د. محمد عبدالمنعم خفاجي، الطبعة الأولى. ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م، مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة والصناعتين لأبي هلال العسكري.

وعلى ذلك فالاستقصاء: هو أن يتناول المتكلّم بيانَ معنىً، فيستقصيَهُ من كلّ جوانبه، آتياً بجميع عوارضه، ولوازمه، بعد أن يستقصي جميع أوصافه الذاتية، حتَّى لا يَتْرك لمَن يتناوله بعده مقالاً إضافيّاً فيه.(١)

وقد عقد له الإمام الأديب: أبي محمد عبدالعظيم بن عبد الواحد بن ظافر – المعروف بابن أبي االإصبع الشاعر المصري المشهور– بابا في كتابه: " بديع القرآن "، وسماه: " باب الاستقصاء " وبدأه ببيان حده قائلا: " وهو أن يتناول الشاعر معنى فيستقصيه إلى أن لا يترك فيه شيئا، ثم ساق له أمثلة من شعر ابن الرومي"(٢)

وقد عده البلاغيون من أسس جودة التشبيه، لما فيه من تفصيل وتحليل، فالتشبيهات التي تبنى على هذا الأساس من النظر المستقصي، وتحليل الشيء الذي يكون الشاعر بصدد بيانه، سواء في ذلك ما كان أوصافا لأشياء حسية، أو كان تحليلا لأفكار، وأحوال ومشاعر تشبيهات جيدة، وأحسنها ما أحاط بالشيء، وفصل أحواله، وألوانه، وأشكاله،(٣)

والشواهد على ذلك كثيرة، منها قول النابغة الذبياني محللا، ومستقصيا أحوال نفسه التي صارت تحس هولا مفزعا فاتكا حين توعده النعمان:

وَعيدُ أبي قابوسَ في غيرِ كُنْهِهِ أتاني ودوني راكِسٌ فالضّواجِعُ

فَبِتُّ كأنّي ساورتني ضَئيلَةٌ مِنَ الرُّقْشِ في أنيابِها السّمُّ ناقِعُ

(١) راجع الصبغ البديعي في اللغة العربية، د: أحمد إبراهيم موسى، نشر: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٩م، القاهرة.

(٢) بديع القرآن لابن أبي الإصبع المصري، ص: ٢٤٧، تحقيق: حقي محمد شرف، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة.

(٣) راجع التصوير البياني، ص: ١٣٨: ١٤٦.

يُسَهَّدُ منْ ليلِ التّمامِ سليمُها ... لحلْيِ النساءِ في يديهِ قعَاقِعُ
تناذرَها الرّاقونَ مِنْ سوءِ سمها ... تُطَلقهُ طوراً وطوراً تُراجِعُ

يقول إن وعيد النعمان أتاه على غير ذنب أذنبه، مع أنه ناء عنه، فدونهما، أودية راكس، ثم رمال الضواجع، فبات كأنه واثبته حية، سماها: ضئيلة، أي: دقيقة، قد أتت عليها سنون كثيرة، فقل لحمها، واشتد سمها، والعرب تقول: رماه الله بأفعى جارية، أي راجعة من غلظ إلى دقة، ثم وصف لونها بقوله: " من الرقش " أي التي فيها بياض وسواد، وسمها ومكانه في الحية، وأنه ثابت في أنيابها، ثم ذكر أنه يُسِّهد من أصيب به، أي: يمنعه من النوم في ليل التمام الذي يطول على من قاساه وعاناه حتى لا يسري في جسده، مشيرا إلى حيلتهم في منعه من النوم إذ كانوا يعلقون في يده حلي النساء فتمنعه قعاقها، أي أصواتها من النوم، ولم يغفل كذلك عن: تسمية الملدوغ: سليما، تفاؤلا بسلامته وشفائه على ما كان من عادة العرب، ثم يذكر حال الراقين وكيف أنهم طفقوا ينذر بعضهم بعضا من تلك الحية لسوء سمها.

فتأمل كيف صور أحوال نفسه وما اعتمل فيها من مشاعر الخوف والقلق، وجسد ما عاناه من سهاد وطول سهر من خلال استقصائه أحوال المشبه به.

والشيخ عبد القاهر كان يعتد بمثل هذا لأنه يجسد حس الشاعر بما يقول، وينبئ عن استيعابه لما يصف، ووعيه الكامل به، وموهبته في تجليته كما أحسته النفس، ويجعل مما حقه أن يكون على فرط الاستقصاء في التشبيه، وفضل العناية بتأكيد ما بدئ به قول أبي نواس في صفة البازي:

كأنّ عَيْنَيهِ إذَا مَا أْثأرَا ... فَصَّانِ قِيَضَا من عَقِيقٍ أَحْمَرَا
في هَامةٍ غَلْبَاءَ تَهْدِي مِنْسَرَا ... كَعَطْفةِ الجِيمِ بِكَفِّ أَعْسَرَا

أراد أن يشبّه المِنقار بالجيم، والجيمُ خطَّان: **الأول**: الذي هو مبدأُه وهو الأعلى، **والثاني**: وهو الذي يذهب إلى اليسار، وإذا لم توصل فلها تعريقٌ كما لا يخفى، والمنقار إنّما يُشبه الخطَّ الأعلى فقط، فلما كان كذلك قال: كَعَطْفة الجيم، ولم يقل:" كالجيم "، ثم دَقَّق بأن جعلها بكف أعسر، لأن جيمَ الأعسر – قالوا– أشبهُ بالمنقار من جيم الأيمن، ثم إنه أراد أن يؤكّد أنّ الشبهَ مقصورٌ على الخط الأعلى من شكل الجيم فقال:

يقولُ مَنْ فِيها بعَقْلٍ فكَّرا لو زَادها عَيناً إلى فاءٍ وَرَا

فَاتَّصَلَتْ بالجيم صَارت جَعْفَرَا

فأراك عياناً أنه عَمَد في التشبيه إلى الخط الأول من الجيم دون تعريقها، ودون الخط الأسفل، أما أمر التعريق وإخراجُه من التشبيه فواضحٌ، لأن الوصل يسقط التعريق أصلاً، وأما الخط الثاني فهو،، وإن كان لا بد منه مع الوصل، فإنه إذْ قال: " لو زادها عيناً إلى فَاءَ ورَا"، ثم قال: " فاتصلت بالجيم"، فقد بيَّن أن هذا الخط الثاني خارجٌ أيضاً من قصده في التشبيه، من حيث كانت زيادةُ هذه الحروف ووصلُها هي السببَ في حدوثه.

وينبغي أن يكون قوله بالجيم، يعني بالعطفة المذكورة من الجيم، ولأجل هذه الدقة قال: " يقول مَنْ فيها بعقل فكَّرَا"، فمهّد لما أراد أن يقول، ونبّه على أنّ بالمشبِّه حاجةً إلى فضل فكرٍ، وأن يكون فكره فكرَ من يراجع عَقْله ويستعينه على تمام البيان(١).

(١) أسرار البلاغة للإمام عبدالقاهر الجرجاني، ص: ١٧٨، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة.الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ١٩٩١ م.

وهذا أحسن الاستقصاء وأتمه، بحيث لم يبق الشاعر في المعنى المقصود موضعا يستدرك عليه.

وبهذا يتضح أن الاستقصاء يقصد منه الإلمام بأحوال المعنى، واستيفاء عناصره، بحيث لا يترك فيها بقية لأحد، وهو بذلك وسيلة إقناع بالمعنى وتأكيد له إذا جاء عفويا غير معتمد على البراهين العقلية شأنه شأن سائر الأداوات البلاغية التي تستخدم لتوضيح الفكرة وإبراز المعنى.

وهو بذلك يخالف التميم،والبسط، والتكميل لأنها وإن كانت تلتقي في أن كلا منها: زيادة اللفظ لفائدة، إلا أنك تجد لكل لون منها خصوصية وسمتا لا تجده للآخر، فالتميم هو: " أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي التي تتم بها صحته، وتكمل معها جودته شيئا إلا أتى به، ومنه قول طرفة:

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمى

فقوله:" غير مفسدها إتمام لجودة ما قاله، لأنه لو لم يقل: " غير مفسدها لعيب"(١).

فكأنه يأتي ليتمم نقص المعنى ونقص الوزن معاً، غير متجاوز حدود جودة المعنى، بأن يأتي من أوصافه ما يخرجه عن دائرة النقد فحسب.

وأما التكميل فهو: أن يأتي المتكلم أو الشاعر بمعنى من معاني المدح،أو غيره من فنون الشعر وأغراضه، ثم يرى مدحه بالاقتصار على ذلك المعنى فقط غير كامل، فيكمله بمعنى آخر، كمن أراد مدح إنسان بالشجاعة ورأى

(١) الصبغ البديعي، د: أحمد إبراهيم موسى، ص: ١٥٠.

مدحه بالاقتصار عليها دون الكرم مثلاً غير كامل، فكملـــه بـــذكر الكـــرم، أو بالبأس دون الحلم، وما أشبهه.

ومنه قول السموءل:

وما ماتَ منا سَيدٌ في فراشِهِ ولا طُلَّ منا حَيْثُ كانَ قتيلُ

فإنه لو اقتصر على صدر البيت كان مدحاً غير كامل، لأن موت الجميـــع قتلى وإن اقتضى وصفهم بالصبر، يحتمل أن يكون عن ضعف، وقلة جد فـــي الحروب، أو أن دماءهم كانت مطلولة مهدورة، فاحترس عن ذلك بأن قال:

ولا طُلَّ منا حَيْثُ كانَ قتيلُ

وطُلَّ دَمُه فهو مطلولٌ، أي: أن دِماءهُم ليس لها طالِبٌ.(١)

ومن التكميل الحسن قول أبي الحسين المتنبي:

أشد من الرياح الهوج بطشا وأسرع في الندى منها هبوبا

فإنه فطن إلى أنه لو أقتصر على وصفه بشدة الـــبطش، دون أن يضـــيف إلى البطش الكرم، كان المدح غير كامل، لأن الرجـــال لا تمتـــدح بـــالبطش فحسب، بل بشدة البأس والعدل، والبطش والكرم، وهكذا، لذا كمل المدح فـــي عجز البيت بذكر الكرم.

ومن مليح التكميل قول النابغة الذبياني في وصف حمار وأتان وحشـــيين بالخفة وسرعة الحركة،وصلابة الحوافر:

فإن هبطا سهلاً أثارا عجاجة وإن طلعا حزنا تشظت جنادل

---

(١) لسان العرب مادة: طلل

فإنه لو اقتصر على وصف صلابة حوافرهما بالمشي في السهل، كان المدح لهما غير كامل، لأنه يستلزم الخفة والسرعة ولا يستلزم صلابة الحوافر حتى يصفهما بالمشي في الحزن، وهي: غلاظ الأرض.

فكأن المعنى قبل التكميل صحيح تام، ثم يأتي التكميل بزيادة يكمل بها حسنه إما بفن زائد أو بمعنى.(١)

وأما البسط فهو: أن يأتي المتكلم إلى المعنى الواحد الذي يمكنه الدلالة عليه باللفظ القليل، فيدل عليه باللفظ الكثير ليضمِّن اللفظ معاني أُخر يزيد بها الكلام حسناً، لولا بسط ذلك الكلام بكثرة الألفاظ لم تحصل تلك الزيادة.

و من شواهد البسط الشعرية قول امرئ القيس:

نَظَرَتْ إِلَيْكَ بَعَيْنِ جازِئَةٍ حَوْرَاءَ، حانِيَةٍ على طِفْلِ

فإن حاصل البيت تشبيه عين هذه الموصوفة بعين "جازِئَةٌ"، وهي الظبية التي اسْتَغْنَتْ بالرُّطْب عن الماء، سميت بذلك لتجَزُّئها بالرُّطْب عن الماء، فبسط الكلام ليزيده البسط معنى لولاه لم يوجد فيه، فإن لنظر الظبية إلى خشفها عاطفةً عليه بحنو واشفاق من الحسن ما ليس لمطلق نظرها، أو لنظرها في غير هذه الحالة.

فبسط الكلام ليضيف إلى لون عينها، تلك النظرة المفعمة بالحب والحنو، والإشفاق.

---

(١) راجع: تحرير التحبير، ص: ٣٥٧ وما بعدها، و خزانة الأدب وغاية الأرب لتقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري، شرح عصام شعيتو، جـ: ١، ص: ٣٧٤، مكتبة الهلال – بيروت. الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

وهذا لون مغاير للاستقصاء وإن خرج من معدنه، ونبت من واديه، فالاستقصاء هو حصر كل ما يتفرع من المعنى ويتولد عنه، ويكون من سببه ولوازمه، بحيث لا يترك فيه موضعاً قد أخلقه بجدة الآخذ له، فيستدركه ليستحقه بذكره، والبسط نقل المعنى من الإيجاز إلى الإطناب بسبب بسط العبارة عنه، وإن لم يستقص كل ما يكون من لوازمه.(١)

وفي ضوء ما سبق أحاول قراءة نماذج من المثل النبوي لاستجلاء ذلك فيها.

(١) تحرير التحبير، ص: ٥٤٤، وما بعدها.

المبحث الثاني
البلاغة النبوية في استقصاء المعنى

١ – روى الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله في كتاب الشركة من صحيحه: " باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه "

حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ قَالَ سَمِعْتُ عَامِرًا يَقُولُ سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا "(١)

"مَثَلُ": أَصْلُ الْمَثَلِ بِفَتْحَتَيْنِ هُوَ النَّظِيرُ وَالْمُشَابِهُ، يُقَالُ: مَثِيلٌ كَمَا يُقَالُ: شِبْهٌ وَشَبَهٌ وَشَبِيهٌ، وَهُوَ مِنْ مَثُلَ الشَّيْءُ مُثُولًا إِذَا انْتَصَبَ بَارِزًا فَهُوَ مَاثِلٌ، وَمَثَلُ الشَّيْءِ – بِالتَّحْرِيكِ – صِفَتُهُ الَّتِي تُوَضِّحُهُ وَتَكْشِفُ عَنْ حَقِيقَتِهِ، أَوْ مَا يُرَادُ بَيَانُهُ مِنْ نُعُوتِهِ وَأَحْوَالِهِ.(٢)

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري ــ رحمه الله ــ في موضعين من صحيحه: الأول باللفظ المذكور أعلاه في "كتاب الشركة – باب هل يُقْرَع في القسمة؟ والاستهامِ فيه"، حديث رَقْم (٢٤٩٣)، ثم رواه في: " كتاب الشهادات – باب القرعة في المُشْكِلات" حديث رقم (٢٦٨٦).راجع: صحيح البخارى ــ بشرح ابن بطال،لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، ج: ٧، ص: ١٢، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم نشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م،الطبعة: الثانية.

(٢) راجع لسان العرب، وتاج العروس من جواهرالقاموس، مادة:"مثل"

وَقَدِ اخْتَصَّ لَفْظُ الْمَثَلِ – بِفَتْحَتَيْنِ – بِإِطْلَاقِهِ عَلَى الْحَالِ الْغَرِيبَةِ الشَّأْنِ لِأَنَّهَا بِحَيْثُ تُمَثِّلُ لِلنَّاسِ وَتُوَضِّحُ وَتُشَبِّهُ.

وَلَمَّا شَاعَ إِطْلَاقُ لَفْظِ الْمَثَلِ عَلَى الْحَالَةِ الْعَجِيبَةِ الشَّأْنِ جَعَلَ الْبُلَغَاءُ إِذَا أَرَادُوا تَشبِيهَ حَالَةٍ مُرَكبَةٍ بِحَالَةِ مرَكبَةٍ أَعنِي وَصفَين منتزَعَين مِن مُتَعَدد أَتَوْا فِي جَانِبِ المشَبّهِ والمشَبهِ بِه معا أَو فِي جَانِبِ أَحَدِهِمَا بِلَفظ المَثَل وَأَدخَلوا الكاف وَنَحوَها مِن حروف التشبِيه عَلَى المشَبه بِهِ مِنهُمَا.

"القائم": القيامُ نقيض الجلوس. يُقال: قام يَقُومُ قَوْماً وقِياماً، وقد يجيء القيام بمعنى: المحافظة والإصلاح، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾[2] أي: ملازماً محافظاً.

ويجيء القيام بمعنى: الوقوف والثبات. يقال للماشي: قف لي،أي: تحبَّس مكانَك حتى آتيك،وكذلك قُم لي، بمعنى: قف لي، وعليه فسروا قوله سبحانه:﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾[3]، قال أهل اللغة والتفسير: "قاموا" – هنا– **بمعنى**: وقَفُوا وثبتوا في مكانهم غير متقدّمين ولا متأَخرين، ومنه التَّوَقُّف في الأَمر وهو: الوقُوف عنده من غير مُجاوَزة.[4]

---

(١) النساء، آية: ٣٤.

(٢) آل عمران، آية: ٧٩.

(٣) البقرة، آية: ٢٠.

(٤) لسان العرب، مادة: قوم.

وكُلُّ مَنْ ثَبَتَ على شَيْءٍ وتَمَسَّكَ به فَهُوَ قَائِمٌ عليه. وقَولُه تَعالَى: "مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ"(١) إِنَّمَا هُوَ من المُوَاظَبَةِ على الدِّينِ والقِيَامِ به. وقال الفَـرَّاءُ: القائِمُ: المُتَمَسِّكُ بدِينه

ومن معاني القيام: العَـزْمُ، كقَولـه تَعـالَى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾(٢) أي:لَمّا عَزَمَ. وقد يَجِيءُ القِيامُ بمَعْنَى المُحَافَظَةِ والإِصْلاحِ، ومنه قَولُه تَعـالَى:" الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ"(٣) ، وقَولُه تَعالَى: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾(٤) أي: مُلازِمًا مُحافِظًا،وقَامَ عِنْدَهُمُ الحَقُّ، أَيْ: ثَبَتَ ولم يَبْرَحْ.(٥)

"حدود"الحدُّ: الفصل بين الشيئين لئلا يختلط أَحدهما بالآخر، أَو لئلا يتعدى أَحدهما على الآخر، وجمعه حُدود. وفصل ما بين كل شـيئين: حَـدٌّ بينهمـا، ومنتهى كل شيء: حَدُّه، وحدَّ الشيءَ من غيره يَحُدُّه حدّاً، وحدَّدَه: ميزه، وحَـدُّ كل شيءٍ: منتهاه لأَنه يردّه ويمنعه عن التمادي.(٦)

" الواقع" وَقَعَ على الشَّيءِ، وكذلكَ وقَع الشَّيءُ مـنْ يَـدِه يَقَـعُ بفَتْحِهمـا وَقْعاً،ووُقُوعاً أي: سَقَطَ. ووقَعَتِ الإبِلُ وُقُوعاً: بَرَكَتْ،وقيل: وَقَّعَـتْ مشـدّدة: اطمأَنت بالأَرض بعد الريّ، ووقَعَ بالأَمْرِ: أَحْدَثَـهُ وأَنْزَلَـه. وواقـع المَـرْأَةَ:

(١) سورة آل عمران، آية ١١٣.
(٢) سورة الجن، أية: ١٩.
(٣) سورة النساء، آية ٣٤.
(٤) سورة آل عمران، آية: ٧٥.
(٥) تاج العروس، مادة: قوم.
(٦) لسان العرب، مادة: حدد.

باضَعَهَا، وخالَطَهَا. وواقَعَ الأُمُورَ مُوَاقَعَةً،ووِقاعاً: داناها. والوَقْـعُ، والوَقِيـعُ: الأَثَرُ الّذِي يُخَالِفُ اللَّوْنَ.(١)

وهو مثل يجسد سبيل النجاح والاستقرار والتقدم في المجتمع عن طريـق التعاون بين كل مكوناته، وقيام كل بواجبه المنوط به، والتزام الجميع بالحدود الشرعية، والقوانين الوضعية المنظمة لبقائه، وأن الإخلال بذلك تكون نتيجتـه انهيار المجتمع، وهلاك أبنائه.

وهو يصور في هذا المثل حال القائم على حدود الله، حفظـا، ورعايـة، والتزاما بكل ما أمر الله به، ونهى عنه، والواقع فيها بحال قوم اقتسموا سفينة بالاقتراع، فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، وكان جريان تلـك السفينة مستقرة معتمدا على تعاون الفريقين فيما بينهم، والتزام الجميع بالقوانين التي تحفظ على السفينة جريانها مستقرة، وإدراك أن القسمة فيها لا تقوم علـى الفصل التام بين العلو والسفل، بل تكون على الشيوع الذي يقضي بأحقية كـل فريق في منع الآخر من أي فعل يجلب الضرر للسفينة كاملة، فلا يفكرمن هـم بالأسفل في خرقها وصولا إلى الماء، وإلا كان على من هم فـي الأعلـى أن يمنعوهم من ذلك، بإفساح الطريق إلى الماء في سماحة، ولا يفكر من هم فـي الأعلى في حبس من هم في الأسفل، بل الجميع مطالب بالتعاون حتـى تـنعم السفينة بالاستقرار والنجاة.

وهو تمثيل معقول بمحسوس ؛ صورت فيه الهيئة الحاصلة من قيام فريق بواجبه في حض فريق آخر على فعل الصواب،ومنعه من الإضرار، بالهيئـة الحاصلة من قيام أهل سفينة بمنع من يريد خرقها من الإقدام على مـا يريـد،

(١) تاج العروس، مادة: وقع.

كما شبهت الهيئة الحاصلة من التقاعس عن تغيير المنكر، بحال أهل سفينة تركوا من يريد خرقها يفعل ما يشاء.

والجامع بين الطرفين هيئة مكونة من النجاة المترتبة على قيام قوم بما يجب عليهم من صيانة الحدود والقوانين المنظمة لأحوالهم، أوهلاكهم بإهمالها، وانتهاك البعض لها دون حساب أو رقيب.

وفيه تجسيد لنجاة مجتمع يقوم أفراده على رعاية الحدود والقوانين المنظمة لبقائه في صورة نجاة سفينة يقوم ركابها بالتعاون فيما بينهم، والالتزام بالقوانين التي تحفظها من الغرق.

وقد كان من تمام التدقيق، وبليغ الاستقصاء في هذا المثل أن تتبع البيان النبوي أحوال المشبه به، مستقصيا لها من كل جهاتها بما يعكس بوضوح أحوال المشبه، ويكشف عن الغاية والهدف الذي يرمي إليه المثل.

حيث ذكر أن القوم استهموا فيما بينهم على قسمي السفينة، بما يعكس اختلافهم بدأ على حظ ومكان كل فريق، إذ أن أعلى السفينة – بلا شك – أفضل من أسفلها حيث الهواء، والماء، و ضوء الشمس،

وأن بعض القوم أصاب أعلى السفينة،وأصاب البعض الآخر أسفلها، بما يبرزه الفعل "أصاب " من حرص كل واحد وتدقيقه النظر عند إلاقتراع.

ثم ذكر حال الذين كانوا أسفل السفينة ومعاناتهم في الحصول على الماء مرورا بأعلى السفينة، وما كان يسببه ذلك من إيذاء للفريق الآخر، وكيف أنهم أخذوا يفكرون ويبحثون عن حلول لذلك، حتى اقترح أحدهم أن يخرقوا خرقا في نصيبهم، بما توحي به إضافة "نصيب" إلى الضمير " نا" في:" نصيبنا " من الشعور بتمام الملكية، وما يترتب عليها من حرية التصرف في هذا الجزء من

السفينة، دون إدراك لعاقبة ذلك، وكأن عقولهم كانت مشغولة بإيجاد حل يسهل الحصول على الماء.

ثم أخبر عن الخيارات المتاحة أمام الفريق الآخر لمواجهة ما يفكرون فيه، ولم تكن كثيرة، لأنه إما يمنعهم من خرق السفينة، أو يتركهم وما أرادوا، ولم يقف عند هذا الحد بل ذكر النتيجة المترتبة يبني الخيارين،وهي نجاة الجميع، أو فرق السفينة بمن فيها.

فتأمل كيف استقصى أحوال المعنى و سبر أغواره، واستخرج كنهه، وعرف مقداره، حتى أتى بجميع عوارضه ولوازمه، بعد أن استقصى أوصافه الذاتية، فلم يفرط في شيء منها، بحيث لا يجد فيه من يتناوله بعد مقالا.

وقد ضاعف من حسنه بديع النظم، ودقة اختيار المفردات، فالتعبير باسم الفاعل " القائم" – بما يدل عليه من الثبوت والدوام – فيه إشارة إلى أن المرء لا يوصف بهذا الوصف إلا إذا كان متحققا فيه بالمواظبة على مزاولته، ودوام المحافظة عليه، حتى يُعرف بين الناس بهذا الوصف دون سواه، وكأن تلك حقيقته، وذاك حاله، "لأن "أل" االجنسية إذا دخلت على اسم الفاعل أبعدته عن مشابهة الفعل،فلا يكون حقيقة في الحال ولا في غيره، وإنما هو تحقق الوصف في صاحبه،وإرادة حقيقته القائمة في الذهن.[1]

وإيثار مادة القيام دون غيرها مشير إلى ما يلقاه القائم على الحدود من مشقة، وأن الثبات عليها ليس بالأمر اليسير، ولعل ذلك مسبب عن قيامه ليس

(١) راجع النحو الوافي لعباس حسن، جـ: ١، ص: ٤٢٥ وما بعدها، ط: ١٥، دار المعارف.

على حد واحد، بل على حدود اكتسبت شرفها، ووجوب تعظيمها وصيانتها، وحسن القيام عليها بإضافتها إلى لفظ الألوهية بما يستحضره من لذة الطاعة، وكمال الالتزام بكل ما أمر به – سبحانه – ونهى عنه.

ثم إن الحد إنما يكون خطا فاصلا بين الحلال والحرام، بما يعنى عدم وجود مساحة من الحرية يتحرك فيها القائم على تلك الحدود فيكون – مع ما فيه من المشقة – أجلب للاستقامة حتى لا تزل قدمه وتحيد.

وأما التعبير باسم الفاعل " الواقع" فمشير إلى أن هذا الوصف لا يكون محققا في صاحبه إلا إذا واقع حدود الله، وزاول مخالطة الحرام حتى يعرف بين الناس ويشتهر بذلك. وقد ناسب ذلك التعبير بـ "في"، ليلفت إلى تلبسه بالمحرمات وانغماسه فيها إلى حد إحاطتها به من جهاته.

وأما القيام فقد ناسبه التعبير ب– "على " بما تفيده من استعلاء يتناسب وذلك السمو الروحي، والنقاء الجسدي الذي يكتسبه ذلك المرء بقيامه على حدود الله عز وجل.

ولما كان الوقوع في حدود الله انتهاك لها،كان من صيانتها،وكمال تعظيمها أن عبر عنها بالضمير بدل الاسم الظاهر المضاف إلى لفظ الجلالة فقال: "الواقع فيها"، وهو من بليغ البيان.

والقيام على الحدود، أو الوقوع فيها لا يقتصر – في رأيي – على الحدود الشرعية فحسب، بل يتسع ليشمل كل ما وضعه أولو الأمر، أوالمجالس التشريعة من لوائح وقوانين تنظم أحوال الناس، ومعاملاتهم.

كما أن القائم،ليس شرطا فيه أن يكون مسلما، أو ليس هو المسلم فحسب، بل يشمل كل عضو في المجتمع حسب عقيدته، فالنصارى يعتقدون أن لله

حدودا يقوم البعض عليها ويقع فيها البعض الآخر، كما أن التزامهم – أيضا – بالقوانين الموضوعة هو من القيام على الحدود ما دام ذلك يحفظ للمجتمع استقراره وتوازنه.

وتنكير "قومٍ" فيه بيان إلى أن ذلك الحكم وتلك النتيجة التي أطلقها الرسول ﷺ مترتبة على إهمال حدود الله وعدم صيانتها، أو تعظيمها والقيام عليها، أشبه ما تكون بالسنن الكونية التي لا تتخلف، لذلك لم يشترط فيهم أن يكونوا معروفين، أو مغمورين، أو عربا، أو عجما، أوحتى مسلمين أو غير مسلمين،لأن لله عند كل قوم حدودا يجب قيامهم عليها، كل حسب عقيدته.

وكان من حسن الاستقصاء في هذا المثل: اختيار السفينة للاقتراع عليها بدلا من منزل،أو بستان،أو غيرهما مما يمكن أن تكون فيه الشراكة أو القسمة لما فيها من إشارة ملموسة إلى أن استقرار الأمم، والمحافظة على أمنها وسلامتها هو الأصعب، وهو ما يحتاج إلى الجهد والمشقة والرعاية، بخلاف الهدم والتخريب فإنه يكون أسهل وأيسر بكثير، وهو معنى يتجلى في السفينة أكثر من غيرها لأن المحافظة على ثباتها واستقرارها،هو ما يفتقر إلى الجهد بخلاف إغراقها فلا يكون إلا بخرقها.

كما أن القسمة في السفينة لا يمكن أن تكون على أساس الفرز والتجنيب بل تكون على الشيوع في معظم أحوالها،فالفوز بقسم في سفينة لا يعني حرية التصرف فيه بمنأى عن القوانين المنظمة لذلك.لأنه لا يتصور غرق جزء منها دون الآخر.

وقد نأى الدكتور:علي علي صبح بهذا المثل عن هدفه ومرماه عندما يتحدث عن عناصرالصورة فيه قائلا:"وأنت ترى أن العناصر الواقعية هي

السفينة وركابها، وما تحتوي من آلات ومعدات، والبحر وما يضم من كائنات وعوالم وما فيه، من تيارات وأمواج وعواصف ومياه، وما حدث من صراع ومساهمة واقتراع، وغير ذلك من مظاهر الطبيعة والحياة" انتهى كلامه(١)

فتراه يذكرما في السفينة من آلات، ومعدات، وما يضمه البحر من كائنات وعوالم وما فيه، من تيارات وأمواج وعواصف، وهي أمور لا تراها من قريب أو بعيد في هذه الصورة، لأن اختيار السفينة كعنصر من عناصر الصورة – هنا – ليس لما بها من معدات، أو لكونها في بحر، أو نهر بل لما هو معلوم لدى الناس، ومستقر في أذهانهم من أن السفينة تكون في ماء، وأنها تغرق بخرقها من أسفل.

كما أن تشبيه الوقوع في حدود الله، بخرق السفينة يجسد فداحة الجرم الذي يرتكبه العصاة بانتهاكهم الحدود والقوانين العاصمة للمجتمع من الانهيار، في صورة غرق السفينة بمن فيها، فيكون في ذلك رادع لهم، وتوجيه إلى أن قيام البعض عليها لا يكفي لنجاة المجتمع، بل يتوجب عليهم إلى جانب قيامهم أن يأخذوا على المخالفين بالتوجيه، والإرشاد والمنع من المخالفة.

وقد كان مصطفى صادق الرافعي أعمق فهما لهذا النص النبوي عندما ركزحديثه على دائرة الحدود، موسعا لها لتشمل إلى جانب الحدود الشرعية ما يضعه أهل كل علم، أو فن، أو مهنة لأنفسهم من قوانين وأطر أخلاقية يعد

(١) التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف،د: علي علي صبح، المكتبة الأزهرية للتراث، ط: الأولى: ١٤٢٣ هـ– ٢٠٠٢م، ص: ١٤٤

الخروج عنها إضرارا بالمجتمع، فيجعل القلم في يد الكاتب الذي يروج للباطل كالفأس في يد من يخرق السفينة من أسفلها.(١)

كما كان من عجيب الاستقصاء – هنا– أنه لم يقتصر على بيان أن السفينة تغرق بخرق أهل السفل لها، بل ذكر مقترحهم ومقالتهم التي يخدعون بها أنفسهم وهم يحاولون تزيين الجرم وتجميله ليكون مقبولا لدى الجميع، حيث " قالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ".

الجرم –هنا– يتمثل في إرادة خرق السفينة، وتزيينه ببيان أن الهدف منه ليس أن يريحوا أنفسهم من عناء الصعود والهبوط للحصول على الماء، وليس سببه منع أهل العلو لهم من الوصول إلى الماء،أو تشكيهم وتضررهم من المرور عليهم،بل رغبتهم الصادقة في عدم إيذاء من فوقهم بالمرور عليهم، وهو ما يؤكد أن الداعي إلى ارتكاب الجرم في كلامهم وهو: الإيذاء، إنما هو أمر توهموا وجوده ليزينوا به المخالفة وارتكاب الجرم لأنفسهم، وللآخرين.

وهو حال أهل الضلال في كل زمان ومكان يُلبسون الباطل ثوب الحق حتى يلتبس الأمر على الناس،لذا كان من الواجب على أهل العلو الذين هم أهل العلم، القائمين على حدود الله، أن يبينوا الصواب للناس، بتعرية الباطل، وفضح أساليب أهل الضلال.

---

(١) راجع:السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية،لمصطفى صادق الرافعي، ت:أبو عبد الرحمن البحيري، دار البشير للثقافة والعلوم، ط: الأولى، ص: ٢٣ وما بعدها.

و حذف جواب لوالشرطية وتقديره: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا لكان أفضل، أو: لكان أجلب للاسقرار لنا ولهم يوهم أنه معلوم للجميع، ومسلم به كنتيجة ناجعة للخرق.

وفي الحذف جانب نفسي آخر ينبئ عن دهاء من يقترح ذلك وخبثه، هو أن انشغال الناس بالبحث عن جواب الشرط فيه إلهاء لهم عن الصواب وعن نهجهم الذي يسيرون عليه.

وتنكير "خرقا" للتقليل، والتصغير، وهو يشير من بعيد إلى إدراك من اقترح ذلك أن خرق السفينة إهلاك لهم، ولكنهم بالتنكير يبددون ذلك الخوف من جهة الزعم أنه سيكون خرقا صغيرا يمكن السيطرة عليه إذا جاء منه الضرر.

ثم تأمل شيوع الضمير "نا" في كلامهم (أنا – خرقنا – نصيبنا – فوقنا) بما يشعر بملكيتهم التامة لنصيبهم على سبيل الاستقلال عن باقي السفينة، وأنهم أهل كبر ومفاخرة واستعلاء، كما لا يخفى ما فيه من مخادعة، لأنه يوهم أن هذا مقترح ورغبة الجميع،فيكون أدعى للقبول، والحقيقة أنها رغبة واحد يزينها للجميع.

بل إنه يعكس شعور القائلين بخرق السفينة على الإقدام بارتكاب جرم شنيع، ومخالفة عظيمة،فيكون لديهم بهذا الأسلوب – إذا افتضح الأمر– فرصة للتملص من تلك الدعوة، والتهرب من العقاب، حيث إن الجميع قد اقترح ذلك.

والتعبير بفعل الإصابة في قوله:"فأصاب" مشيرإلى أن للمرء كسب واختيار في وجوده بأعلى السفينة أو أسفلها،وهذا يعني أن القيام على حدود الله أو الوقوع فيها ليسا من الأمور التي يتوارثها الناس من آبائهم، بل تُكتسب

بالاجتهاد في تحصيل العلوم النافعة، والرغبة الملحة في تعلم حدود الله، والإرادة القوية في القيام عليها، وقد يُسْلِم ولدُ العالم التقيِّ نفسه – بتراخيه، وفتوره، وقعوده عن طلب العلم – إلى أهل الضلال يغرسون له أشجار الباطل في أرض جهله الخصبة.

والاقتصار على الاستسقاء من الماء مع أن لهم حاجات أخرى، كالحصول على الطعام، أو الخروج إلى الشمس، أو غيرها مما يحتاج إليه الناس في معايشهم، فيه إشارتهم إلى أن مدخل المخربين إلى غواية الناس، ودفعهم إلى المخالفة، وتجاوز الحدود يكمن في ما قد يجده الناس من معاناة، أو مشقة في الحصول على حاجاتهم اليومية، وضروراتهم الملحة التي لا يمكنهم تخزينها، أو الاستغناء عنها، لذا كان العمل على توفيرها سدا لأبواب الفتن، وقطعا لألسنة الداعين للوقوع في حدود الله، والخروج على القوانين التي تنظم المجتمع.

وكان من تمام التدقيق وفرط الاستقصاء في هذا المثل أنه اعتبر في ترتيب عناصر الصورة آخرا ما بدئ به أولا.

فإنه لما قال في المشبه: "مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها " قال في المشبه به: " فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها " لما بين العلو والقيام على حدود الله، وكذلك بين الوقوع فيها والسفل من مناسبة.

ولقائل أن يقول:لو كان حظ الفئة التي أصابت أسفل السفينة حظَّ الأخرى لما أرادت خرق السفينة ولا خطر ذلك على بالها، لأنه والحال كذلك ينتفي الداعي إلى الخرق.كما يقول الواقع في حدود الله: لو آتاني الله حظ القائم ونصيبه، لما انتهكت حدود الله.

وهذا غير صحيح، لأنه لو أصابت تلك الفئة أعلى السفينة لقالوا: "لو خرقنا لهم في نصيبهم خرقا كي لا يشقوا على أنفسهم، أو يؤذوننا بالمرورعلينا لكان أفضل "، وهذا يعني أن من يسعى لتخريب المجتمع وتقويض اسقراره، يفعل ذلك أينما حل ووُجد، وأن الأمر ليس له علاقة بموقعه أو مكانه،أو بمدى تيسر أسباب الحياة لديه، بل يتعلق انحرافه بجوهره وطبعه، فكم من سفن تجري في استقامة واتزان لأن من يسكونون أسفلها يقومون بأعمالهم، وكذلك من هم في أعلاها يؤدون واجباتهم.

وأما قوله: " وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا "يَعْنِي به جَمِيع من فِي السَّفِينَة، وَلَو لم يذكر قَوْله: "ونجوا جَمِيعًا"، لكَانَتْ النجَاة اخْتصّت بالآخذين فَقَط.(١)

وللبخاري في رواية أخرى بلفظ "المدهن"(٢)، بدل " القائم "في:" كتاب الشهادات – باب القرعة في المُشْكِلات" حديث رقم (٢٦٨٦)، وليس بينهما تعارض "لأن "القائم" هو الآمر بالمعروف،و"المدهن "هو التارك له،فحيث قال: "القائم " نظر إلى جهة النجاة، وحيث قال المدهن نظر إلى جهة الهلاك، ولا شك أن التشبيه مستقيم على كل واحد من الجهتين".(٣)، "ويكون قد شبه بذلك المدهن في حدود الله بالذي في أعلى السفينة، وشبه الواقع في تلك الحدود

(١) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري المؤلف: محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (المتوفى: ٧٨٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان طبعة أولى: ١٣٥٦هـ – ١٩٣٧م طبعة ثانية: ١٤٠١هـ – ١٩٨١م

(٢) والإدهان المقاربة في الكلام والتليين.

(٣) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، ج:١١، ص:٢١١.

بالذي في أسفلها... وعبر عن الذنب الخاص للمداهنين الذين ما نهوا الواقع في حدود الله بإهلاكهم"[1].

فحصر باستقصاء أحوال المشبه به وإلإحاطة بكل ما يتفرع من المعنى ويتولد عنه، ويكون من سببه ولوازمه، بحيث لم يترك فيه ﷺ موضعاً قد يخلُق بجدة الآخذ له من بعده.

٢ – روى البخاري في بَاب:" فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ " قال:

"حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ قَالَ إِسْحَاقُ وَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَيَّلَتْ الْمَاءَ قَاعٌ يَعْلُوهُ الْمَاءُ وَالصَّفْصَفُ الْمُسْتَوِي مِنْ الْأَرْضِ". [2]

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ:"الكاشف عن حقائق السنن" لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي المتوفى سنة:٧٤٣هـ، ت: د. عبد الحميد هنداوي، ج: ١٠، ص: ٣٢٦١، نشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة – الرياض.

(٢) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه،لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر،حديث رقم: ٧٩، ج: ١، ص: ٨٣، نشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.، و الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، نشر: دار الجيل، بيروت بيروت، ج:٧، ص: ٦٣.

"الغيث" الغَيْثُ: المطر، والكَلأُ، وقيل: الأَصلُ: المطر، ثم سُمِّي ما يَنْبُتُ به غَيْثاً، وغاثَ الغَيْثُ الأَرضَ: أَصابَها،ويقال: غاثَهم اللهُ،وأَصابَهم غَيْثٌ، وغاث اللهُ البلادَ يَغيثُها غَيْثاً: إذا أَنزل بها الغَيْثَ.(١)

وقيل:هو المَطَرُ الخَاصُّ بالخَيْرِ، الكَثِيرُالنَّافِعُ؛ لأَنه يُغَاثُ به النّاسُ.(٢)

"نقيَّة"النُّقاوة: أَفضل ما انتقيتَ من الشيء. ونَقِيَ الشيءُ – بالكسر – يَنْقَى نَقاوة – بالفتح – ونقاء فهو نَقِيٌّ أَي: نظيف. والتّنْقِيةُ: التنظيف. والانْتِقاءُ: الاختيار. والتّنَقِّي: التَّخيُّر. وانْتَقَيْتُ الشيء إذا أَخذت خِياره"(٣)

"الكلأ": كَلأَت الأَرضُ، وكَلِئَتْ: كَثُرَ كَلْؤُهَا،أَي: عُشْبُها. والكَلأُ: العُشْبُ رَطْبَه وَيَابسُه. وأَرضٌ مُكْلِئَةٌ بالضمّ، أي:تُشْبِعُ إِبلُها لكثرة عشبها. وما لم يُشْبِع الإِبلَ لم يَعُدُّوه إِعشاباً ولا إِكلاءً وإِن شَبعت الغَنمُ. والكَلأُ العُشْبُ رَطْبُه ويابِسُه "(٤)

"أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ المَاءَ" الجَدْبُ:المَحْل،وهو نَقِيضُ الخِصْب، والأَجَادبُ: صِلاَبُ الأَرْضِ التي تُمْسِكُ المَاءَ ولا تَشْرَبُه سريعاً، وقيل: هي الأَرْضُ التي لا نَبَاتَ بها، مأْخُوذٌ من الجَدْبِ وهو: القَحْطُ، وهي جَمَعُ: أَجْدُب الذي هو جَمْعُ: جَدْب "(٥)

---

(١) لسان العرب، مادة: غيث.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، مادة: غيث.

(٣) لسان العرب، مادة: نقا.

(٤) لسان العرب مادة: كلأ.

(٥) تاج العروس، مادة: جدب.

" قيعان"،القَاعُ: أرْضٌ سَهْلَةٌ مُطْمَئِنَّةٌ واسِعَةٌ، مُسْتَوِيَةٌ، حَرَّةٌ، لا حُزُونَةَ فيها ولا ارْتِفاعَ ولا انْهباطَ، قد انْفَرَجَتْ عَنْها الجبَالُ والآكامُ، ولا حَصىً فِيها ولا حِجَارَةَ، ولا تُنْبِتُ الشَّجَرَ، وما حَوَالَيْهَا أرْفَعُ منهَا، وهو مَصَبُّ المِيَاهِ، وقِيلَ: هو مَنْقَعُ الماءِ في حُرِّ الطِّينِ، وقِيلَ: هُوَ ما اسْتَوى من الأرْضِ وصَلُبَ، ولَمْ يَكُنْ فيهِ نَبَاتٌ، وتجمع على: قِيعٌ، وقِيعَةٌ، وقِيعانٌ، بكَسْرِهِنَّ، وأقْوَاعٌ وأقْوُعٌ".(١)

" فَقُهَ"،الفِقْهُ بالكَسْرِ: العِلْمُ بالشَّيْءِ، والفَهْمُ لَهُ، يُقالُ: أُوتِيَ فلانٌ فِقْهاً في الدِّينِ: أَيْ فَهْماً فِيهِ، والفِقْهُ: الفِطْنَةُ."(٢)، "وغلبَ على عِلْم الدين لسِيادَتِه، وشرفه، وفَضْلِه على سائر أَنواع العلم. وقد فَقُه فَقاهَةً وهو فَقِيهٌ من قوم فُقَهاءَ"(٣).

وفيه بيان لأحوال الناس، و تفاوت منازلهم تبعا لتباينهم في مقادير ما يصيبون مما بُعث به الرسول ﷺ من الهدى والعلم،ومدى انتفاعهم بذلك، وتصوير لما بُعث به عليه السلام من الهدى والعلم بالغيث النازل من السماء في النفع، والرحمة، والتطهير، مع تفاوت أحوال الناس بين قبوله والانتفاع به، وبين عدم القبول.

وقد كان من تمام البلاغة، وكمال البيان،استقصاء المثل أحوال جناحي الصورة وإخراجه لها في صور حسية، بما يعكس بوضوح أحوال المشبه، ويجسد الغاية والهدف الذي يرمي إليه المثل، فكان اختيار الغيث دون غيره

(١) تاج العروس، مادة: قوع.
(٢) تاج العروس، مادة: فقه.
(٣) لسان العرب، مادة: فقه.

من أسماء المطر، ليشعر بمدى حاجة الناس إليه، وطول انتظارهم له، ثم إنه جعله كثيرا بحث يسقي الجميع فلا يكون هناك نزاع بين الناس، ثم ذكر أن هذا الغيث أصاب أرضا، أي مجهولة، ثم استقصى أنواع تلك الأرض فذكر أن منها النقية الطيبة، ومنها الأجادب، ومنها القيعان، وبين خصائص كل نوع منها.

وقد آزر الاستقصاءَ على إبراز الصورة براعة النظم، ودقة اختيار المفردات، فالتعبير بالاسم الموصول وصلته، وبناء الفعل لفاعله في قوله:"ما بعثني الله به " فيه تشريف،وتعظيم لمضمون الرسالة، وبيان لنبل وسمو هدفها، وكشف عما تحمله جوانحها من رحمة ومنفعة عظيمة للناس.

كما أن اختيار فعل البعث(١)، بما يدل عليه من الحياة بعد الموت، واليقظة بعد النوم، والتنبه بعد الغفلة، والحركة بعد السكون، والنشاط بعد الكسل والخمول، فيه تلميح وإيماء لحال المبعوث إليهم، ومدى افتقارهم إلى ما بعث به عليه السلام من الهدى والعلم.

والهدى: الرشاد والدلالة، يذكر ويؤنث، والمراد به –هنا– الدلالة الموُصِّلة إلى المطلوب.

---

(١) يقال: بَعَثَ فُلاناً مِن مَنامه فانْبَعَثَ: أَيْقظَه وأَهَبَّهُ، والبَعْثُ: إِزالةُ ما يَحْبِسُ عن التَّصَرُّفِ والانْبِعاث، و بَعَثَهُ على الأَمْرِ: أَثارَه، وانْبَعَثَ في السَّيْرِ: أَسْرَعَ،والبَعْثُ إِثارةُ بارِكٍ أَو قاعدٍ تقول بَعَثْتُ البعير فانبَعَثَ أَي أَثَرْتُه فَثار والبَعْثُ أَيضاً الإِحْياء من الله للمَوْتى، وبَعَثَ البعيرَ فانْبَعَثَ حَلَّ عِقالَه فأَرسله أَو كان باركاً فَهاجَهُ. راجع تاج العروس، ولسان العرب، مادة: بعث.

وأما العلم فيراد به – هنا –: معرفة الأدلة الشرعية، فكان عطفه على الهدى من عطف المدلول على الدليل(١)، فكأن تحصيل العلوم، وكمال الانتفاع بها إنما يتحقق بعد الهداية التي هي سبيل الاستقامة.

وأما المشبه به فأول ما يطالعك من عناصره:" الغيث الكثير"، وقد أوثر على سائر أسماء المطر " ليؤذن باضطرار الخلق إليه من بعد يأس، يقول – تعالى –: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ ﴾(٢)

وقد كان الناس في الزمان الأول – قبل المبعث – وهم على فترة من الرسل – قد امتحنوا بموت القلب، ونضوب العلم، حتى أصابهم الله برحمة من عنده، فأفاض عليهم سجال الوحي السماوي، فأشبهت حالهم حال من توالت عليهم السنون، وأخلفتهم المحامل، حتى تداركهم الله بلطفه.(٣)

والألف واللام فيه للجنس، فكأنه ﷺ يصورما بعث به من الهدى والعلم في صورة غيث مشهور متعارف في ذهن المخاطبين،موصوف بالكثرة، معروف بصفته، ومشاهد على وجه الفرض والتقدير، يعم الأرض: طيبها، وأجادبها، وقيعانها.

---

(١) راجع كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري لمحمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الشنقيطي، ج: ٣، ص: ٢٥٦، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى.

(٢) سورة الشورى، آية: ٢٨.

(٣) راجع شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي،ج: ٢، ص: ٦١٦، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، نشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة.

كما أن الكلمة تكشف عن فعل الهدى والعلم في القلوب، فبهما حياته كما أن حياة الأرض مرهونة بنزول الغيث.

ووصفه بالكثرة مشير إلى سعة وسخاء، وعموم ما بعث به ﷺ.

والتعبير بفعل الإصابة، وإسناده إلى ضمير الغيث فيه إشارة إلى أن الغيث موجه إلى الأرض عن قصد، وليس مصادفة نفعا للناس ورحمة بهم من المصيب وهو الله سبحانه وتعالى، لأنه هو الفاعل الحقيقي للإصابة وليس الغيث.

وتنكير الأرض في قوله "أرضاً" للتنبيه على أنها كانت – قبل نزول الغيث عليها – ميتة، مهملة، مجهولة، لا يلتفت إليها أحد لعدم نفعها، وانعدام خيرها، وإلا فإنها لاتسمى أرضا لو كانت ذات أشجار وزروع وثمر، بل تسمى:جنة، على حد قوله تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ ﴾[1]، كما يشير التنكير إلى سعتها، وترامي أطرافها، بما يعني أن الغيث لم يصب أرضا بعينها، وهو ما يتناسب مع وصف الغيث بالكثرة.كما يوحي بمدى حاجة تلك الأرض إلى الغيث بسبب انقطاعه عنها مدة من الزمن حتى عمها الجدب والقحط.

ثم كان من تمام البلاغة في هذا المثل أن استقصى، وفصل أحوال تلك الأرض وبين أصنافها، والأثر الذي أحدثه الغيث في كل صنف منها، بما يكشف بوضوح عن أحوال المشبه، ويحقق الغاية والهدف من سوق المثل، وذلك في قوله:" فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير،

(١) البقرة: ٢٦٦

وكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً ".

فجعل الأرض ثلاثة أصناف: الأول منها ما ينتفع بالمطر فيحيا بعد أن كان ميتا، فينبت الزرع، والكلأ، فتنتفع به الناس والدواب والطير وغيرها.

والصنف الثاني: مالا يقبل الانتفاع في نفسه بالماء فلا ينبت زرعا ولا كلأ، إلا أنه يمسك الماء فينتفع به الناس والدواب.

والصنف الثالث من الأرض هي: "القِيعانُ" التي لا تنبت زرعا ولا تمسك ماء، فلا تنتفع في نفسها، ولا تنفع غيرها.

وكذا الناس، فمنهم من يبلغه الهدى والعلم فينتفع وينفع غيره،لأن لهم أفهاما واعية، و قلوبا حافظة، ومنهم من يبلغه الهدى والعلم فلا ينتفعون بالاستنباط والاجتهاد، إلا أن لهم قلوبا حافظة، فهم يحفظونه لينتفع به كل محتاج متعطش لما عندهم من العلم، ومنهم من لا يملكون أفهاما واعية، ولا قلوبا حافظة فلا يستنبطون حكما، ولا يحفظون لغيرهم علما.

وإلى هذا التقسيم ذهب معظم شراح الحديث[1]، ويرد عليه أن المذكور في الحديث من الناس قسمان فحسب.هما الأول والثالث، أي: من قَبِل العلم وأحكام الدين ومن لم يقبلهما، وذلك لأن القسم الأول والثاني من الأرض كقسم واحد من حيث أنه منتفع به، وإلى هذا ذهب الطيبي في شرح المشكاة، مشيرا إلى اتفاق الشارحين على الوجه الثاني – أي: كون الناس على ثلاثة أقسام –

(١) راجع فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق وتعليق: عبدالقادر شيبة الحمد، جـ: ١، ص: ٢١٣، طبعة المملكة العربية السعودية، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م.

والحديث ينصر الأول، فعلى هذا ذكر في الحديث الطرفان: العالي في الإهتداء والغالي في الضلال، وترك قسمان من انتفع بالعلم في نفسه، ومن لم ينتفع في نفسه ولكن نفع في غيره.

وبيان ذلك: أن الشطر الأول من الصورة مركب من أمرين، لأن قوله: " أصاب منها طائفة " معطوف على قوله: " أصاب أرضا "، والضمير في:" منها " يرجع إلى مطلق الأرض المدلول عليه بقوله: " أرضا "، ثم قسمت الأرض الأولى قسمين بفاء التعقيب في: " فكانت "، و عطف " كانت: على " كان ": " فيلزم اشتمال الأرض الأولى على الطائفة الطيبة، وعلى الأجادب، والثانية على عكسها.

وقوله ﷺ: " إنما هي قيعان "يفيد قصر تلك الأرض على كونها قيعان لا غير، وكلمة لا تستخدم إلا في المعاني الظاهرة التي لا يخالف فيها، ولا يدعى إنكارها، ذلك لأنه تقدم في الكلام ما يدل عليها، وهو ذكر الأرض الطيبة النقية التي تمسك الماء فتنبت الكلأ، ثم تدرج نزولا إلى الأجادب التي لا تنبت كلأ غير أنها تمسك الماء،وهذا يعني أن القسم الثالث هو الأرض التي لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، ولذا كان استخدام " إنما " في هذا الموضع من تمام البيان.

ثم تأمل الكناية في قوله:" ومثل من لم يرفع بذلك رأسا "، وهي كناية عن التكبر، أو أنه لم يلتفت أصلا إلى ما بعث به النبي ﷺ " وكيف اختار من أحوال الرأس الرفع ليشعر بأن قبول ما بعث النبي ﷺ فيه رفعة، وعلو شأن، أو أنه لم يكلف نفسه النظر فيه أصلا "[1].

---

(١) راجع شرح أحاديق من كتاب البخاري. دراسة في سمت الكلام الأول، د: محمد محمد أبو موسى، ص: ١٨٠، وما بعدها ، مكتبة وهبة.القاهرة.

التمثيل – هنا – يفتح الأعين على مشهد مصور على مساحات واسعة من الأرض، تتزاحم فيه العناصر المستقصاة ما بين غيث نازل من السماء، وأرض تفاوتت واختلفت بسبب اختلاف عناصرها ما بين:

نقية طيبة تقبل الماء فلا يتأخر نفعها، ولا يتراخى عطاؤها، بل يظهر – بسرعة – أثر الغيث عليها عقب نزوله، وهو ما يدل عليه عطف " فأنبتت " بالفاء.

وأجادب تمسك الماء فيشرب منه الناس، ويسقون ويزرعون.

وقيعان لا تنبت كلأ، ولا تمسك ماء، وهو بذلك يصور الهدى والعلم ويجعل نفعهما وأثرهما وتفاوت الناس في حظوظها من هذا النفع وذلك الأثر ملموسا مشاهدا.

كما أنه فوق ذلك يثير الحماس، ويحرك الهمم لتصلح من نفسها، وتزكي عناصرها حتى يكون لها من ذلك حظا، بل يكون لها جظا كاملا يتمثل في العلم بما جاء الرسول ﷺ من الهدى والعلم، والعمل به، ثم تعليمه للغير.

٣ – عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: " مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب. ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو. ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر. ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر"(١)

(١) الحديث أخرجه البخاري "٩/ ٥٨" في فضائل القرآن، ومسلم رقم: ٧٩٧، باب فضيلة حافظ القرآن، والترمذي ٢٨٦٩، باب ما جاء في مثل المؤمن القارئ للقرآن وغير القارئ، وأبو داود ٤٨٣٠، والنسائي "٨/ ١٢٤، ١٢٥"، وابن ماجه ٢١٤، انظر جامع الأصول "ج: ٢، ص٤٥٣".

"الأُتْرُجُّ " والأُتْرُجَّةُ، والتُّرُنْجَةُ والتُّرُنْجُ: ثمر شجر بستاني من جنس الليمون ناعم الورق والحطب طيب الرائحة.(١)

"الريحانة": الرَّيْحَان نَبْتٌ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ، من أَنواعِ المَشْمُومِ، واحدته رَيْحَانَةٌ.(٢)

والجمْع:رَيَاحِينُ،وقد يطلق على أطراف كلِّ بَقْلٍ طَيِّبِ الرِّيحِ إِذا خَرَجَ عليه أَوَائلُ النَّوْرِ.

"الحنظلة" الحَنْظَل: الشجر المُرُّ، وقال أَبو حنيفة:هو من الأَغْلاث واحدته حَنْظَلَة(٣)

الحديث يصور تأثير كلام الله تعالى في باطن العباد وظاهرهم، ويكشف ما بينهم في ذلك من تفاوت تبعا لزيادة حظوظهم من قراءة كلام الله تعالى أونقصاها، أو انعدامها بالكلية – وتلك معان معقولة أخرجها التمثيل – هنا – في صورمحسوسة، جمعت بين حسن المنظر وحلاوة الطعم، وطيب الرائحة.

ولأن حظوظ الناس لم تكن متساوية في ذلك التأثير، فقد استقصى التمثيل أنواعهم،عناية بالمعنى، وتأكيدا له، ووقوفا على القصد منه وإخراجا لما لا دخل له في التمثيل أصلا، وهو الكافر، أو من لم تبلغه الدعوة، فجاءت المشيهات والمشبهات بها على سبيل تقسيم الحاصل إلى:

١– مؤمن يقرأ القرآن.

٢– المؤمن لا يقرأ القرآن.

---

(١) راجع لسان العرب، و تاج العروس من جواهر القاموس مادة: ت رج.

(٢) راجع تاج العروس مادة: روح

(٣) لسان العرب، مادة: حنظل.

٣- منافق يقرأ القرآن.

٤- منافق لا يقرأ القرآن.

وجاءت المشبهات بها على حسب ترتيب المشبهات على النحو التالي:

١- الأترجة. ٢- التمرة. ٣- الريحانة ٤-الحنظلة.

وجاءت أوجه الشبه - على حسب الاستقصاء والتقسيم السابق على النحو التالي:

١- هيئة منتزعة من أمرين محسوسين هما الطعم الحلو، والرائحة الطيبة.

٢- هيئة منتزعة من انعدام الرائحة الطيبة وبقاء الطعم الحلو.

٣- هيئة منزعة من الرائحة الطيبة ومرارة الطعم.

٤- هيئة منتزعة من انعدام الرائحة ومرارة الطعم.

ولما كان هذا التمثيل في الحقيقة هو وصف لموصوف اشتمل على معنى معقول صرف، لا يبرزه عن مكنونه إلا تصويره بالمحسوس المشاهد، وكان لقراءة كلام الله تأثير في باطن العبد وظاهره، وكان العباد متفاوتون في ذلك، فمنهم من له نصيب وافر من ذلك التأثير، وهو المؤمن القارئ، ومنهم من لانصيب له البتة وهو المنافق الحقيقي، ومنهم من تأثر ظاهره دون باطنه، وهو المرائي، أو بالعكس وهو المؤمن الذي لا يقرأه، أبرز البيان النبوي تلك المعاني، وصورها على ما هو مذكور في الحديث.(١)

(١) راجع شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، المسمى بالكاشف عن حقائق السنن، للإمام الكبير: شرف الدين الحسين بن عبدالله بن محمد الطيبي، تحقيق ودراسة: د. عبدالحميد هنداوي، جـ: ٥، ص: ١٦٣٥، ط: ١، سنة:.١٩٩٧م، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة.

ولم يجد ما يوافقها ويلائمها مما تنبته أرض العرب في ذلك الوقت أبلغ ولا أقرب ولا أحسن، ولا أجمع من الأترج، والتمر، والريحان، والحنظل ليميط اللثام، ويرفع الحجاب عما انتحاه من بيان تأثير قراءة القرآن.

وتظهر روعة النظم النبوي في التعبير بالفعل المضارع:" يقرأ " ليفيد أن تأثير القرآن في قارئه إنما يتحقق بتكرير القراءة على ما ينبغي، والمداومة عليها حتى تصير دأبا للمؤمن القارئ وعادة، فتنتفي عنها صفة التكلف، لأنه يصير كالمفطورعليها، وتمسي القراءة كالطبع فيه.

والهيئة الجامعة بين المومن القارئ والأترجة هو طيب الطعم وذكاة الرائحة، من جهة أن المؤمن الذي يقرأ القرآن كذلك، فهو طيب الباطن لثبوت الإيمان في قلبه، ذكي الريح لاستماع الناس إليه، واستراحتهم لقراءته.

ويؤيد هذا قول علقمة بن عَبَدة في تصوير ريح امرأة:

يَحْمِلْنَ أُتْرُجَّةً نَضْخُ العَبِيرِ بِها كَأَنَّ تَطْيابَها فِي الأَنْفِ مَشْمُومُ

العبير: الطيب. النضخ: ما كان رشا.

يقول: إن الجمال يحملن فيما يحملن امرأة تضخ بالطيب الذي لا يفارق الأنف لذكائه وقوته. حتى إن المذكوم ليجد ريحها لطيبها وذكائها فكيف مع الصحيح المعافى.(١)

فتأمل كيف استعار الأترجة لتصوير ذلك !.

(١) ديوان علقمة بن عبدة، شرح وتعليق: سعيد نسيب مكارم، ط: ١، ١٩٩٦م، دار صادر، بيروت.

ويؤيده – أيضا – قول الشنفرى:

فَبِتْنا كأَنَّ البَيْتَ حُجِّرَ فَوْقَنَا بِرَيْحانَةٍ رِيحَتْ عِشاءً وطُلَّتِ
بِرَيْحانَةٍ مِن بَطْنِ حَلْيَةَ نَوَّرَتْ لَهَا أَرَجٌ، ما حَوْلَهَا غيرُ مُسْنِتِ[1]

فيصور البيت وكأنه قد أحيط بريحانة من بطن حلية وهو واد بتهامة قد اشتهر بطيب نبته لأنه في حزن، أي: أرض غليظة، ونبت الحزن أطيب من غيره ريحا، هذه الريحانة قد نورت وأصابها الطل، ثم حركتها الريح عشاء فنشرت أريجها في كل جانب.

ولعل الأمر بالاستعاذة من الشيطان الرجيم عند الشروع في قراءة القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[2] يكشف سرا من أسرار تأثير تلاوة القرآن الكريم، من جهة أنها ترتقي بالقارئ إلى مدارج الكمال بالتجرد عن النقائص التي هي من عمل الشيطان، لأن في الاستعاذة إيذانا بذلك، وإعلاما بنفاسة القرآن الكريم ونزاهته.

ولا يستطيع القارئ أن يدفع تلك النقائص عن نفسه إلا بأن يسأل الله تعالى أن يبعد الشيطان عنه بالاستعاذة، فكأن القارئ للقرآن يظل في عصمة ومنعة من الشيطان بحماية الله تعالى ما دام قارئا.

ولو تأملنا التمثيل من جهة أخرى لوجدناه فوق ما سبق يبعث روح التنافس في هذا الباب، ويحض من طرف خفي على الاجتهاد في قراءة القرآن

---

(١) البيتان في ديوانه، ص: ٣٤، جمع وتحقيق: د / إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٨.

الكريم، والمداومة عليها حتى يرتقي إلى منزلة يكون فيها أهلا لعصمة الله ومنعته.

ولا شك أن هذا التصوير الذي استقصيت فيه تلك المقامات وجسدت في صور: الأترجة والتمرة والريحانة والحنظل، يزكي تلك الروح ويرشحها وينميها.

٤ – عن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ، مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلَا يُنْفِقُ إِلاَّ سَبَغَتْ أَوْ وَفَرَتْ عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ، وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلاَ يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلاَّ لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوَسِّعُهَا فَلاَ تَتَّسِعُ"(١).

"البخيل": الشحيح الضَّنِين، والشح: أعلى البُخْل والحُرْصُ. وقيل: هو أَشَدُّ البُخْل، وهو أَبْلَغ في المنْعِ من البُخْل. وقيل: البُخْل في أَفرادِ الأُمورِ وآحادِهَا، والشُّحُّ عامٌّ. وقيل: البُخْلُ بالمال، والشُّحُّ بالمالِ والمعروفِ.(٢)

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه حديث رقم: ١٤٤٣ باللفظ المذكور أعلاه، ورواه أيضًا بأرقام: ٢٩١٧ ، ٥٢٩٩، ٥٧٩٧، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب: مثل المنفق والبخيل، برقم: ١٠٢١، والبيهقي في "السنن الكبرى، كتاب الزكاة – باب كراهية البخل والشح والإقتار، ج: ٤، ص: ١٨٦، والرامهرمزي في كتاب: "أمثال الحديث"، الجزء: السادس، ص: ١٢٣، ط: المكتبة الإسلامية – استانبول – تركيا. تحقيق: أمة الكريم القرشية.

(٢) راجع تاج العروس من جواهر القاموس، مادة: بخل، و أدب الكاتب أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروري الدينوري، ص: ٣٠، المكتبة التجارية ، القاهرة، ط: ٤، ١٩٦٣ م، ت: محمد محيى الدين عبدالحميد.

وقيل: إن البخل نفس المنع، والشح: هو الحالة النفسية، أو الغريزة التي تقتضي الحرص والمنع، لذا أضيف إلى النفس في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1] أي: ومن يوق – بتوفيق الله تعالى – شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الإنفاق هم المفلحون.[2]

" جبتان ": الجبة ثوب مخصوص، وروي في صحيح مسلم: "جنتان " بالنون ورجحت لقوله: "من حديد"، والجنة في الأصل: الحصن، وسميت بها الدرع ؛ لأنها تجن صاحبها، أي: تحصنه، ولا مانع من إطلاق الجبة – بالباء – على الدرع.

" ثُدِيِّهِمَا " جمع ثدي، و" تراقيهما ": جمع ترقوة. " سَبَغَتْ ": امتدت وغطت. " وَفَرَتْ ": من الوفور، أي: اتسعت عليه. " تُخْفِيَ بَنَانَهُ " أي: تسترأصابعه. "تَعْفُوَ أَثَرَهُ ": تستره.

يقال: عفت الدار إذا غطاها التراب، ويقال:عفا الشيء، وعفوته أنا، يكون لازما ومتعديا.

---

(١) سورة الحشر، أية: ٩.

(٢) راجع: مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، جـ: ٢٩، ص: ٢٥٠، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م الطبعة: الأولى، وتفسير أبي السعود " إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم "، جـ: ٨، ص: ٢٢٩، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

" لَزِقَتْ ": يقال: لَزِقَ الشيءُ بالشيء يَلْزَقُ لُزوقاً كَلَصِقَ، وفي رواية مسلم: "انقبضت " والمفاد واحد، لكن الأولى نظر فيها إلى صورة الضيق، والأخيرة نظر فيها إلى سبب الضيق، لأن القبض خِلافُ البَسْط.(١)

والمراد أن من كان فيه الجود طبعا، والسخاء ديدنا إذا هم بالصدقة انشرح لها صدره وطابت بها نفسه وانطلقت معها يداه، وأن البخيل إذا هم بالصدقة ثارت عليه من نفسه الضيقة الشحيحة علل شتى تضع في يديه القيود فيضيق بها صدره وتنقبض يداه.

وقد يكون المراد أن صدقة المنفق تستره وتمحو خطاياه كما يعفو الثوب السابغ الذي يجر على الأرض لوفوره أثر صاحبه إذا مشى بمرور الذيل عليه، من عفت الدار إذا غطاها التراب، وأن الله تعالى ينمى ماله في الدنيا ببركة نفقته، حتى يفيض عليه من قرنه إلى قدمه، ويضاعف له الأجر في الآخرة.

بخلاف البخيل فإنه مفضوح بشحه وإمساكه مع وفرة ماله، لأنه يعتقد أن ستره فى الشح والإمساك، إلا أن ماله لا يمتد عليه، فلا يستر من عوراته شيئًا حتى تبدو للناس، فيبقى منكشفاً كمن يلبس جبة تبلغ إلى ثدييه، ولا تجاوز قلبه الذى يأمره بالإمساك، فهو يفتضح فى الدنيا، ويؤزر فى الآخرة.(٢)

---

(١) راجع لسان العرب، مادة: عفو، وفر، لزق، قبض.

(٢) شرح صحيح البخارى لابن بطال،. شرح صحيح البخارى ــ لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، جـ: ٣، ص: ٤٤١ ، نشر: مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، الرياض – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م، الطبعة: الثانية، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم.

وقد يكونا معا مراد التمثيل، الذي يجسد فيه البيان النبوي معنيين نفسيين هما:

الأول: انشراح صدر المتصدق، وسماحة نفسه، ومطاوعة قلبه، ووفور أريحيته، وعلو همته عند إنفاق المال في وجهه.

الآخر: ضيق صدر البخيل، وشح نفسه، وعناد قلبه، وتظاهر تخاذله وتكاسله عند قيام دواعي الصدقة.

هذان المعنيان جسدهما التمثيل في صورة رجلين أراد كل واحد منهما أن يلبس جبة يحتمي بها، فصبها على رأسه ليلبسها – وهي أول ما تقع عليه: الصدر والثديين – إلى أن يدخل يديه في كميها،

فكانت جبة أحدهما سابغة، فاسترسلت عليه حتى سترت جميع بدنه، وقلصت جبة الأخر عليه حتى غلت يديه إلى عنقه، فلزمت ترقوته والتصقت، فلا هي تتسع عليه، ولا هو يستطيع نزعها والتحرر منها.

التمثيل – هنا – يحيل تلك المعاني إلى صور حية ترى بالعين، والسبب في ذلك أن البيان النبوي يعرف خواص النفس وطبائعها، فيغوص في أعماقها، ليكشف لك عن تلك الطبائع إلى حد تحسب معه الجود جبة سابغة، والشح جبة تضيق، وتلتصق بجسد صاحبها حتى تغل يديه إلى عنقه، حتى كأنك وأنت تقرأ هذا التمثيل، أو تسمعه تنبعث في نفسك، وتعتريك حالة من الغبطة للمتصدق على جبته الواسعة، وتغمرك حالة من الإشفاق للبخيل بسبب تقلص جبته، فينبعث فيك رجاء مصحوب بالعزيمة والاجتهاد في العمل على أن تتسع جبتك.

وفي ذلك مزيد عناية بالمعنى حتى يدركه المخاطب من خلال تلك الصور الحية التي تمثلها الكلمات – هنا – شخوصا ماثلة.

وقد أعان على ذلك استقصاء أحوال المشبه به في الصورتين: صورة المتصدق، وصورة البخيل، فلم يقف عند حد تمثيلهما برجلين عليهما جبتان فحسب، بل أتبع ذلك بجعلهما من حديد، ثم استقصى أحوال الرجلين مع الجبتين، وأن أيديهما قد اضطرت إلى ثُدَيِّهما وتراقيهما، وأن جبة المتصدق جعلت تنبسط عليه حتى سبغت وسترت بسبب التصدق، وأن جبة البخيل أخذت تضيق عليه حتى التصقت كل حلقة منها بمكانها على صدره.

وفي رواية أخرى للبخاري في باب:" جَيْبِ الْقَمِيصِ مِنْ عِنْدِ الصَّدْرِ وَغَيْرِهِ، تحت رقم: ٥٧٩٧ فيها زيادة: " قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ: فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا فِي جَيْبِهِ فَلَوْ رَأَيْتَهُ يُوَسِّعُهَا وَلَا تَتَوَسَّعُ " نجد البيان النبوي ينتقل بالمخاطب إلى أعلى مستويات الإدراك، وهو: الإدراك من خلال الأفعال والحركات التي لا تراها العين بواسطة الكلمة، وإنما تراها وهي تقع أحداثا حية كالقصة الممثلة، والرواية المشاهدة(١)، فهو كالبيان العملي لما يحاوله صاحب الجبة الضيقة من توسيعها، وعدم استطاعته ذلك.

وتتجلى براعة النظم النبوي في: إيقاعه المنفق مقابلا للبخيل في قوله ﷺ: " مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ " والمقابل الحقيقي للبخيل هو السخي إيذانا بأن السخاء لا يقف عند حدود إكرام المرء نفسه، وأهله فحسب، بل عليه أن يجعل في ماله متسعا يسعف به المنكوبين، ويمد به يد العون للفقراء والمساكين.

(١) راجع التصوير البياني للدكتور محمد أبو موسى، ص: ١٣٠، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة. القاهرة.

كما أن في إيقاع المنفق في مقابل البخيل تنبيه على أن ما أمر به الشرع وندب إليه من الإنفاق هو السخاوة، لا ما يتعاناه ويتكلفه المبذرون وصولا إلى أقصى حدود الإسراف.(١)

ثم تأمل كيف وصف الجبة بأنها من حديد، ليشير إلى أن السخاوة والبخل، أو الجود والشح وغيرها من الطباع، إنما تكون من خلقة الإنسان، وجبلته وأنها إذا تجذرت وترعرت في البيئة المناسبة لها فلا شيء يمكنه أن يثني الجواد أو يثبطه عن المضي في التصدق، والتوسع في الإنفاق، كما أن الشحيح لا شيء يمكن أن يجعله يجود ويسمح بالنفقة.

وكان من تمام البيان وكماله وأبدعه أن جعل الجبتين ابتداء عند الرجلين: البخيل والمتصدق من الثُّدِيِّ إلى التَّرَاقِي، وكأنها تمثل بهذا الحجم نفقة كل انسان على نفسه، أو ضروراته من طعام وشراب وغيرهما مما لا غنى لأي إنسان عنه بخيلا كان أو متصدقا، فهذا لا فضل فيه ولا مزية حتى وإن تفاوت كما وكيفا بينهما، بل الفضل والمزية فيما زاد على ذلك، من التصدق وإسعاف المنكوبين، والمشاركة في أبواب البر والخير، بما يعود على المجتمع كله بالنفع والصلاح.

(١) راجع شرح مشكاة المصابيح للطيبي، جـ: ٥، ص: ١٥٢٥.

الخاتمة

تجلى واضحا من خلال التحليل السابق لأحاديث مختارة من البيان النبوي في ضوء مفهوم الاستقصاء ما يلي:

– لاستقصاء المعاني أثر واضح في إبراز الفكرة، وتوضيح المعنى من جهة أن المتكلم يسبر أغواره، ويستخرج كنهه حتى يأتي بجميع عوارضه ولوازمه، بعد استقصاء أوصافه الذاتية.

– الاستقصاء كسائر الألوان البلاغية، يحمد إذا جاء عفويا وفطريا، بهدف إزالة، أو تحليل فكرة، أو تقريب غريب.

– تمكن البيان النبوي من الأدوات البلاغية ومنها الاستقصاء بما أتاح القدرة على توظيفها في خدمة الأفكار والمعاني.

استقصاء المعنى لا يكون ولا ينقاد للمتكلم إلى إذا كان على وعي تام بصفاته، وأحواله.

الاستقصاء يغاير التتميم والبسط والتكميل من جهة أنه أعلاها، وأوفها وأجدرها برفع المعنى إلى درجة البلاغة.

دراسة النصوص وتحليلها في ضوء فكرة الاستقصاء باب بكر، وميدان خصب للباحثين.

وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين

أهم المصادر والمراجع

١- أسرار البلاغة للإمام عبدالقاهر الجرجاني، ص: ١٧٨، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة.الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

٢- بديع القرآن لابن أبي الإصبع المصري، ص: ٢٤٧، تحقيق: حفني محمد شرف، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة

٣- التصوير البياني، د محمد أبو موسى، ص: ١٤١، مكتبة وهبة. القاهرة.

٤- التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف،د: علي علي صبح، المكتبة الأزهرية للتراث، ط: الأولى: ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، ص: ١٤٤

٥- تفسير أبي السعود "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، جـ: ٨، ص: ٢٢٩، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٦- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه،لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر،حديث رقم: ٧٩، جـ: ١، ص: ٨٣، نشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ، و الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، نشر: دار الجيل، بيروت بيروت، ج:٧، ص: ٦٣.

٧- ديوان علقمة بن عبدة، شرح وتعليق: سعيد نسيب مكارم، ط:١، ١٩٩٦م، دار صادر، بيروت.
٨- السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية،لمصطفى صادق القادر الرافعي، ت:أبو عبد الرحمن البحيري، دار البشير للثقافة والعلوم، ط: الأولى، ص: ٢٣ وما بعدها.
٩- شرح صحيح البخارى – لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، جـ: ٣، ص: ٤٤١، نشر: مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، الرياض ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، الطبعة: الثانية، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم
١٠- التصوير البياني للدكتور محمد أبو موسى، ص: ١٣٠، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة. القاهرة.
١١- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى ب-:"الكاشف عن حقائق السنن" لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي المتوفى سنة:٧٤٣هـ، ت: د. عبد الحميد هنداوي، ج: ١٠، ص: ٣٢٦١، نشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة – الرياض.
١٢- الصحاح للجوهري = تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري، جـ:٧، ص: ٣١٣، دار العلم للملايين- بيروت. الطبعة: الرابعة- يناير ١٩٩٠. والمحيط في اللغة المحيط في اللغة – موافقا للمطبوع، للصاحب الكافي الكفاة أب القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني. ج-: ٥، ص: ٤٦٦، نشر: عالم الكتب – بيروت، لبنان – ١٤١٤هـ -١٩٩٤م، الطبعة: الأولى، ت:

محمد حسن آل ياسين. و تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني،أبي الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، مادة: قصو.

١٣- فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيا البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد القادر شيبة الحمد، طبعة المملكة العربية السعودية.

١٤- كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري لمحمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الشنقيطي، ج: ٣، ص: ٢٥٦، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى.

١٥- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري المؤلف: محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (المتوفى: ٧٨٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان طبعة أولى: ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م طبعة ثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

١٦- مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، جـ: ٢٩، ص: ٢٥٠، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م الطبعة: الأولى

١٧- النحو الوافي لعباس حسن، جـ: ١، ص: ٤٢٥ وما بعدها، ط: ١٥، دار المعارف.

١٨- نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق وتعليق " د. محمد عبدالمنعم خفاجي، الطبعة الأولى. ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة.